

الخير المتعدي



في يوم من الأيام، استمعت لحكمة قالها أحد الناس حيث قال لي: إنّ الشخص الذكي هو الذي يُنشئ مشروعًا يدرّ عليه الربح، من دون أن يُوجَد فيه بشكل دائم ومستمر.

وهـا كـم مثـلاً لـهـذه الفـكـرة: هـنـاك طـبـيـبـانـ، أـحـدـهـما لـيـسـلـهـ إـلـاـ عـيـادـتـهـ الـخـاصـةـ يـُـمـارـسـ فـيـهاـ مـهـنـتـهـ، وـالـآـخـرـ لـهـ أـيـضاًـ عـيـادـتـهـ، وـلـكـنـهـ مـُـسـهـمـ فـيـ مـسـتـشـفـىـ طـبـيـ نـاجـ. إنـّـ وـضـعـ الـأـوـلـ يـُـحـتـمـ عـلـيـهـ الحـضـورـ الدـائـمـ وـالـمـسـتـمـرـ إـلـىـ عـيـادـتـهـ، لأنـهاـ مـصـدـرـ رـزـقـهـ الـوـحـيدـ. وـالـيـوـمـ الـذـيـ سـيـقـعـدـ فـيـهـ مـرـضـ عنـ عـيـادـتـهـ سـيـفـكـرـ فـيـهـ وـفـيـ تـدـاعـيـاتـهـ عـلـيـهـ وـعـلـىـ عـيـالـهـ، أـكـثـرـ مـنـ الطـبـيـبـ الثـانـيـ الـذـيـ أـسـهـمـ فـيـ مـشـرـوـعـ بـرـيجـ مـنـهـ، وـهـوـ لـيـسـ بـالـضـرـورةـ مـوـجـودـاًـ وـمـسـتـهـلـكـاًـ فـيـهـ.

كـذـلـكـ الـعـلـمـ الـصـالـحـ.. هـنـاكـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ لـابـدـ أـنـ يـقـومـ بـهـ الـشـخـصـ بـنـفـسـهـ وـبـكـلـيـتـهـ، أـقـدـمـ

وـهـنـاكـ بـعـضـ الـأـعـمـالـ الـتـيـ مـنـ الـمـمـكـنـ أـلـاـ تـسـتـدـعـيـ كـلـ هـذـاـ الـحـصـورـ الـمـكـثـفـ لـلـنـفـسـ، وـتـكـونـ كـالـمـسـتـشـفـىـ

الـاسـتـثـمـارـيـ النـاجـ الـذـيـ يـدـرـ عـلـىـ الـمـسـهـمـ فـيـ رـبـحاًـ وـهـوـ فـيـ بـيـتـهـ، كـالـصـدـقـةـ وـالـإـنـفـاقـ فـيـ سـبـيلـ اـهـ

إنـّـ الصـدـقـةـ وـالـإـنـفـاقـ فـيـ سـبـيلـ اـهـ مـنـ الـأـعـمـالـ مـُـتـعـدـيـةـ الـخـيرـ. فـالـمـتـمـدـقـ يـحـصـلـ عـلـىـ الـثـوابـ مـنـ اـهـ، وـالـمـتـمـدـقـ عـلـيـهـ تـُـفـرـجـ كـرـبـتـهـ. فـالـفـائـدـةـ هـنـاـ مـتـعـدـيـةـ، وـهـذـاـ مـخـتـلـفـ عـنـ فـرـيـضـةـ الـحـجـ مـثـلاًـ، إـذـ إنـّـ خـيـرـهـ مـقـصـورـ عـلـىـ مـاـ أـدـأـهـ وـنـالـ ثـوـبـاـهـ.

نـُـرـيدـ أـنـ نـكـونـ أـذـكـيـاءـ، وـأـنـ زـُـرـكـزـ عـلـىـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـعـمـالـ مـتـعـدـيـةـ الـخـيرـ، الـتـيـ تـُـدـرـ الـثـوابـ بـصـفـةـ مـسـتـمـرـةـ عـلـىـ أـحـدـنـاـ، مـنـ دـوـنـ جـهـدـهـ الـجـسـديـ الدـائـمـ. نـرـيدـ أـنـ نـرـكـزـ عـلـىـ التـمـدـقـ وـالـإـنـفـاقـ فـيـ سـبـيلـ اـهـ. وـالـإـنـفـاقـ فـيـ سـبـيلـ اـهـ يـحـتـاجـ إـلـىـ يـقـيـنـ وـثـقـةـ بـاـهـ لـأـنـهـ أـصـعبـ عـلـىـ النـفـسـ. فـالـنـفـسـ الـإـنـسـانـيـ مـجـبـولـةـ عـلـىـ الـبـُـخـلـ. قـالـ تـعـالـىـ: (فـَاتـَّقُوا الـلـهـ مـاـ اـسـتـطـعـتـمـ وـاـسـمـعـوا وـأـطـيـعـوا وـأـنـفـقـوا وـخـيـرـاـ لـأـنـفـسـكـمـ وـمـاـ يـوـقـنـ شـعـرـ زـفـسـهـ فـأـوـلـئـكـ هـُـمـ الـمـفـلـحـونـ) (التـغـابـنـ/16). وـالـيـقـيـنـ وـالـثـقـةـ بـاـهـ يـهـدـيـانـ بـالـتـعـرـفـ إـلـىـ وـعـدـهـ وـوـعـيـدـهـ مـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ: .. وـإـنـهـ لـكـتـابـ عـزـيزـ * لـاـ يـأـتـيهـ الـبـاطـلـ مـنـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـلـاـ مـنـ خـلـفـهـ ..

قال تعالى: (قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْدُو سُطُورَ الْرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَاهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) (سبأ / 39).

لابد أن يكون عندنا يقين في أن الله تعالى يُخلف على أحدنا ما أنفقه ويرده له قبل أن يتثنى عليه في الآخرة. إن الحديث الشريف يُظهر هذه الحقيقة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نَفَقَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ إِلَّا عَبْدًا بَعْفَوْ إِلَّا عَزَّاً وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ إِلَّا رَفَعَهُ إِلَّا عَزَّ وَجَلَّ". وفي الحديث المتفق عليه: "ما من يوم يُصْبِحُ العبادُ فيه إلا مُلَكَانَ يَنْزَلُانَ فيقول أحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِهِ مُنْفِقاً خَلَقاً وَيَقُولُ الْآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِهِ مُمْسِكاً تَلَفَّاً".

إن الذي يمسك ماله ولا ينفقه في سبيل الله ولا يؤدى فيه حق الله، من منظور الإيمان، لا يكثر ماله إنما يبعثره ويُضيّعه. إن أحدنا، بتصدقه وإخلاص نيته فيه، يُوسّع على نفسه في الدنيا وبما يُذهله يوم القيمة، خصوصاً إذا كانت صدقته هذه صدقة جارية خيرها مُتجدد مستمر. ما رأيكم في مَنْ يَتَصَدّقُ بِمَالٍ يَشْتَرِي بِهِ مُثلاً جَهَازَ غَسِيلَ لِلْكَلَى، يُعَالِجُ بِهِ مَرْضَ الْفَشْلِ الْكَلَوي؟ إن كل مريض ينتفع منه إلى قيام الساعة له أجره وثوابه ودُعاؤه.

ولا يظن طان أن باب التصدق مقصور على الأغنياء فقط. أبداً. من الممكن للمعدم أن يتصدق أيضاً ويحظى بثواب لا يعلم قدره إلا الله، كيف؟ يتصدق بدمه. إن الفقير الصالحة التي يتصدق بدمه لإخوانه المحجاجين إلى دمه يتصدق بأغلب ما يمتلك، وإن لا يُجازي الإحسان إلا بإحسان يليق بكرمه وجوده. قال الله سبحانه وتعالى: (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا إِحْسَانٌ) (الرحمن / 60).

إن الله تعالى لا يغيب عنه شيء، صاغر أو كابر. قال تعالى: (عَالَمُ الْغَيْبَ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لَيَدْجُزِي الْأَذْيَنَ أَمْذُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ) (سبأ / 3-4). إن الله لا يُكلِّفُ أحداً فوق طاقته، لا في إنفاق ولا في غيره، فهو الذي قال سبحانه: (يُرِيدُ اللَّهُمَّ بِرَبِّكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِرَبِّكُمُ الْعُسْرَ) (البقرة / 185).

إنما يفتح الباب لمن أراد أن يتقرب إليه، و يجعل لنفسه مكاناً عنده سبحانه. ثم الناس بعد ذلك على قدر رغبتهم في ما عند الله وقدرتهم عليه. وفي ذلك فليتنا واسع المتناول فسون. ورب صدقة صغيرة أداها صاحبها من كسب طيب وبإخلاص، تزرن عند الله ما لا تزنه الرجال. قال (ص): "مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلٍ تَمَرَّةً مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِمَمِينِهِ، ثُمَّ يُرْبِبُهَا لصاحبها كما يُرِيدُهُ أَهْدُوكُمْ فَلَوْهُ، حتَّى يكونَ مثلَ الجبل". أللهمانا وإياكم فعل الخيرات وبارك لنا فيها وفي ثوابها، إله زعم المولى ونعم النصير.

والجبار، كما نرى ونعلم، مختلفة الأحجام قال تعالى: (مَثَلُ الْأَذْيَنَ يُنْدِفِقُونَ أَمْ وَالَّهُمَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلَ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُدْنَبُلَةٍ مَائَةً حَبَّةً وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِمْ) (البقرة / 261).

المهم أن يكون هذا الإنفاق خالصاً لوجه الله، كما قال تعالى عن الأبرار الذين يقصدونه: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبَّهِ مِسْكِينًا وَيَتَمِّمُونَ أَسْيَرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان / 8-9).

وألا يكون بعده أو فيه من لا أذى. قال تعالى: (الْأَذْيَنَ يُنْدِفِقُونَ أَمْ وَالَّهُمَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُنْدِفِقُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْهَا وَلَا أَذَّى لَهُمْ أَجْرٌ هُمْ عَنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة / 262).

إن الإنفاق في سبيل الله مثال واضح للخير المتعدد، الذي يُسعف صاحبه في كل وقت وحين، وفي حياته الدنيا وفي آخرته. فهي الحياة الدنيا بالتوسيع عليه وعلى عياله، وفي آخرته برفعه درجاته، لأن الذي يسأله شيئاً يجعله في سبيله، لا يزال ثواب تسبيله يأتيه حتى وهو في قبره، فيُطفئ عليه حر القبور، ويُخفف عليه من فتنته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عماله إلا من ثلاثة: مَنْ صدقة جارية، أو عالم يُنتَفَعُ به، أو ولاد صالح يَدْعُونَه". نحن نحتاج إلى

أن نركّز في مثل هذه الأعمال والإنفاق ويا جبّـذا لو كان هذا الإنفاق مما زُجّـب.

قال تعالى: (لَئِنْ تَذَرُوا الْوَدْرَ حَتَّىٰ تُنْذِفُوهُ وَمَا تُنْذِفُوهُ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (آل عمران/92). إنّ الموضوع يستحق التدريب عليه، حتى تناول به وعد الله تعالى.►